قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

بيوتات العلم بحاضرة إشبيلية في عصر المرابطين و الموحدين 6-7هـ/12-13م

Science families in Seville metropolis in the era of almoravids and almohads 6-7ah\12-13ad

محفوظ مصابيح [1] ، * ، مصطفى مغزاوي [2]
[1] المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.
[2] جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

Key words:

Scientific families.

Seville.

the era of almoravids and almohads.

The centuries 6-7ah/12-13ad.

Abstract

The phenomenon of scientific houses in the Middle Ages, one of the manifestations of the cultural life of the Islamic world, which often attracts researchers wishing to study the role and contributions of these houses in activating the scientific movement and through different periods of time, and the metropolis of Seville, one of the largest cities in Andalusia at the time of the Almoravids and Almohads, knew many famous scientific houses, both famous and not famous, Through which many scholars excelled in different fields, and contributed to enriching the Islamic library with many books and classifications, and won praise and acceptance in the East and the West, such as the houses of Ibn al-Arabi and Ibn Zuhr, who reached great fame and were mentioned in the regions.

These houses had visible and well-known contributions in the field of authorship, such as medical literature thanks to the Bani Zahr family, which received the largest share and included the field of medicine and pharmacy, and in the field of forensic sciences where Judge Ibn al-Arabi reached unparalleled fame in the fields of jurisprudence, interpretation, hadith, history and other sciences.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :11-08-2023

القبول : 19-12-2023

الكلمات المفتاحية:

البيوتات العلمية.

إشبيلية.

عصر المرابطين والموحدين.

القرنين 6-7هـ/12-13م.

ملخص

تعتبر ظاهرة البيوتات العلمية في العصر الوسيط، إحدى مظاهر الحياة الثقافة للعالم الإسلامي، والتي كثيرا ما تستهوي الباحثين الراغبين في دراسة دور ومساهمات تلك البيوتات في تنشيط الحركة العلمية وعبر فترات زمنية متباينة، وحاضرة إشبيلية إحدى أكبر المدن بالأندلس زمن المرابطين والموحدين عرفت عديد البيوتات العلمية المشهورة منها وغير المشهورة، والتي من خلالها نبغ كثير من العلماء في ميادين مختلفة، وأسهموا في إثراء المكتبة الإسلامية بعديد الكتب والتصانيف، ونالوا الثناء والقبول مشرقا ومغربا، على غرار بيتي ابن العربي وابن زهر اللذان بلغا شهرة كبيرة وذاع ذكرهما في الامصار.

كان لهذه البيوتات مساهمات ظاهرة ومعروفة في مجال التأليف، على غرار المؤلفات الطبية بفضل أسرة بني زهر، والتي نالت النصيب الأكبر وشملت ميدان الطب والصيدلة، وفي ميدان العلوم الشرعية نبغ فيها القاضي ابن العربي وبلغ شهرة منقطعة النظير في مجالات الفقه والتفسير والحديث والتاريخ وغيرها من العلوم ، كما شملت تلك المؤلفات مجالات أخرى كالتراجم و الفلاحة بدرجة أقل، وبلغت إشبيلية زمن المرابطين والموحدين مصاف الحواضر الإسلامية الكبرى.

* Corresponding author at : Higher normal school of,bouzareah, ALGERIA.
Email : mahfoudhmessabih1116@gmail.com

1. مقدمة

شهد التاريخ الإسلامي الحافل بالإنجازات العلمية، ظهور عديد البيوتات والأسر التي ساهمت بقسط وافر في تنشيط الحياة العلمية مشرقا ومغربا، ومدينة إشبيلية على غرار نظيراتها من المدن و الحواضر الإسلامية عموما والاندلس خصوصا، عرفت ظهور بيوتات ذات علم ووجاهة، كان لها بالغ الاثر في حركة التأليف وفي علوم وفنون متعددة، كالعلوم الشرعية والتاريخ والطب والصيدلة والفلاحة، كما عرفت هذه الأسر نبوغ وشهرة عدد من العلماء يُشار إليهم بالبنان ويعرفون بالوجاهة والعلم الغزير على غرار القاضي ابن العربي، والطبيب ابن زهر وغيرهم، وهناك من جمع وبرع منهم في معارف مختلفة وبلغ شهرة واسعة في الأقطار الإسلامية، فعدّو من العلماء الموسوعيين وإذا ما نظرنا إلى الدراسات السابقة التي عنيت بدراسة بيوتات العلم فهي لا تكاد تحصى، مابين مصادر ومراجع، مثل كتاب زهر الآس في بيوتات أهل فاس لعبد الكبير الكتاني، وكتاب البيوتات العلمية في تلمسان الزيانية للدكتور نصرالدين بن داود، هذا إجمالا أمّا فيما يخص الدراسات الخاصة ببوتات العلم بإشبيلية فلا يوجد بحث مستقل فيما نعلم، وإنما هي دراسات متناثرة في بطون الكتب هنا وهناك، ولعل من أهمها كتاب بيوتات العلم والحديث بالأندلس للدكتور محمد بن زين الدين رستم، بالإضافة إلى أبحاث ودراسات الدكتور محمد بن شريفة. وعلى ضوء ذلك نطرح الإشكالية التالية: ما هو واقع بيوتات العلم في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين؟ وتتفرّع منها تساؤلات حول أشهر بيوتات العلم في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين؟ وماهي أهم مشاركات وإنجازات تلك البيوتات في الحياة العلمية في إشبيلية من خلال حركة التأليف؟ وماهي أهم العلوم الرائجة التي كان لها نشاط واسع دون غيرها؟ وهي الأهداف التي نصبو إليها من خلال هذا البحث، وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة، قسمت بحثي إلى التعرف على بيوتات العلم في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين المشهورة منها وغير المشهورة، والانتاج العلمي لتلك البيوتات مع التركيز على حركة التأليف.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي في تتبع بيوتات العلم في إشبيلية بالرجوع إلى أمهات الكتب التاريخية وبالخصوص كتب التراجم التي تُعنى بالعلماء والأعيان، والمنهج الإحصائي لتتبع مؤلفات علماء تلك البيوتات وتنظيمها في جدول و رسومات بيانية توضيحية.

2 ـ بيوتات العلم المشهورة بحاضرة إشبيلية في عصر المرابطين و الموحدين

برزت في حاضرة إشبيلية في فترة حكم المرابطين والموحدين للأندلس عديد بيوتات)أنظر التعليق رقم1 (العلم والعلماء توارثت المكانة العلمية والوجاهة في شتى مجالات المعرفة كالفقه والقضاء و الحديث والطب، منها من استقرت في إشبيلية في فترات سابقة ومنها من وفدت خلال فترة حكم المرابطين والموحدين للمدينة بفضل الرعاية التي أولاها لهم ملوك وأمراء المرابطين والموحدين، وحرصهم على استقدام خيرة العلماء في الأندلس قاطبة، وحتى من خارجها كبلاد المغرب وصقلية وغيرها، وكذلك بفضل السمعة التي تمتعت بها إشبيلية في فترة حكم ملوك الطوائف . وهي الفترة التي سبقت عبور المرابطين للأندلس . لها وبالخصوص آخر أيامهم في فترة المعتمد بن العباد، وهو الأمر الذي شجع العلماء على القدوم إلى إشبيلية ، كما يمكن تقسيم هذه البيوتات إلى بيوتات مشهورة ومعروفة بالوجاهة والعلم والرياسة، على غرار بيت ابن زهر وبيت ابن العربي، وبيوتات أخرى غير مشهورة و التي لم يبرز فيها إلاّ عدد قليل من العلماء في حدود عالم او عالمين على غرار أسرة الحوفي وابن خير.

من خلال تتبع بيوتات العلم في إشبيلية خلال فترة المرابطين والموحدين من أمهات التاريخ الإسلامي وكتب التراجم للفترة المدروسة، وبالخصوص المصادر الأندلسية منها على غرار الصلة لابن بشكوال والبغية للضبي والذخيرة لابن بسام، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها، تبين وجود أربعة أسر علمية مشهورة دون غيرها توارثت العلم و أنجبت عددا لا بأس به من العلماء ذاع صيتهم في الأندلس و العالم الإسلامي غربا و شرقا و فيما يلي استعراض لهذه البيوتات:

بيت ابن العربي

يرجع أصل هذا البيت إلى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي، (**ابن بشكوال**، 1989، **صفحة** 438) وقال عنه الضبّي في بغية الملتمس في التعريف به:" كان بإشبيلية بدرا في فلكها، وصدرا في مجلس ملكها، واصطفاه ملكها ابن عباد..." (**الضبي**، 1989، **صفحة** 436) توفي بمصر في أثناء رحلته إلى المشرق سنة 493ه/ 1100م، (**ابن بشكوال**، 1989، **صفحة** 436) ووصفه ابن بشكوال في معرض الثناء عليه وذكر خصاله و مناقبه:"... وكان من اهل الآداب الواسعة، واللّغة والبراعة، و الذكاء والتقدم في معرفة الخبر والشعر، والافتتان بالعلوم وبجمعها وكان من أهل الكتابة والبلاغة والفصاحة واليقظة، ذا صيانة وجلالة". (**ابن بشكوال**، 1989، **صفحة** 436)

ولعل جوهرة هذا البيت العربي الكريم، والذي له الفضل في شهرته هو القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي ت 543ه/1149م، (**المقري**، 1968، **صفحة** 857) ومولده سنة 468ه/1076م، (**الضبي**، 1989، **صفحة** 857) رحل إلى المشرق مع أبيه، فزار الشام وبغداد والحجاز، ثمّ مصر بعد ذلك، وسمع في رحلته الاكابر والاعلام، " ثمّ عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق"، (الضبي، 1989، صفحة 856) وقال عنه ابن سعيد نقلا عن الحجازي في بان عظم مكانة الإمام ابن العربي :" لو لم ينسب لإشبيلية إلاّ هذا الإمام الجليل، لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف وهو كليل". (**ابن سعيد**، **المغرب في**

حلى أهل المغرب، صفحة 254)

ووصفه ابن الضبي بما يستفاد منه أنّه رحمه الله :" فقيه حافظ عالم متفنن أصولي، محدّث مشهور واديب، رائق الشعر رئيس وقته"، (الضبي، 1989، صفحة 125) وقال عنه ابن بشكوال في التحلية :" الإمام العالم، الحافظ المستبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها... وكان من أهل التفنن في العلوم، و الإستبحار فيها، والجمع لها، متقدما في المعارف كلّها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، وثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كلّه آداب الأخلاق، وحسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الوعد"، (ابن بشكوال، 1989، صفحة 856) تولّى القضاء بإشبيلية ثمّ عُزل، توفي بفاس سنة 543ه/1149م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1985، صفحة 202)

ومن علماء هذا البيت، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي ت 541ه/1147م، (ابن الآبار، 1995، صفحة 259) اعتنى به أبوه، قال عنه ابن الابار :"... وكان من أهل النباهة والجلالة معينا بالرواية وسماع العلم، وجيها بذاته وسلفه..."، توفي في حياة والده "وثكله أبوه رحمه الله، وحسن صبره عليه، قتل خطأ يوم دخلت إشبيلية على الملثمين". (ابن الآبار، 1995، صفحة 260)

ومنهم كذلك، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري، سمع من أبيه القاضي الجليل أبي بكر بن العربي، وأخذ عنه. (شقور، 1996، صفحة 270)

يضاف إلى ما سلف عدد من العلماء من أسرة ابن العربي كان لهم صلة قرابة مع القاضي أبي بكر ابن العربي وهم: محمد بن حسين بن عبد الله بن محمد المعافري، وهو ابن اخ أبي بكر ابن العربي وروى عن عمّه، ومحمد ابن حسين بن عمر بن احمد المعافري :" من ذوي قرابة القاضي أبي بكر ابن العربي"، (بن شريفية، 1999، صفحة 173) ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله المعافري، روى عن جدّه القاضي أبي بكر ابن العربي، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن احمد المعافري :" من ذوي قرابة القاضي ابن العربي". (بن شريفية، 1999، صفحة 308)

ويلاحظ في هذا البيت كثرة العلماء وتوارثهم العلم والرواية عن بعضهم البعض، اشتهر فيهم القاضي العلامة أبي بكر ابن العربي، وبرعوا في ميدان العلوم الشرعية بالخصوص من حديث وتفسير وفقه وغيرها.

بيت ابن الباجي اللّخمي

وصف المقري هذا البيت بقوله:" بيتهم بيت علم"، (المقري، 1968، صفحة 202) واشتهر من هذا البيت مبكرا الفقيه احمد بن محمد بن علي بن شريعة ت 396ه/1012م، وأعقبه عدد لا يحصى من العلماء. (المقري، 1968، صفحة 215)

ومن أشهر نبهاء هذا البيت في العصر المرابطي والموحدي، نجد عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد الإشبيلي، وصفه ابن الأبار بقوله:" روى عن عمّه أبي عبدالله محمد بن أحمد صاحب التوثيق، حدّث عنه ابنه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز..."، (ابن الآبار، 1995، صفحة 89) ومنهم عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن شريعة أبو مروان ت 532ه/1132م، (ابن بشكوال، 1989، صفحة 533) روى عن أبيه سالف الذكر، وعن عميه أبي عبد الله، وابي عم احمد، وابن عمه أبي محمد عبدالله، قال فيه ابن بشكوال :"...وكان مناهل الحفظ للمسائل، متقدما في معرفتها، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، واستقضي ببلده مرتين، وكان من اهل الصرامة والنفوذ في احكامه...". (ابن بشكوال، 1989، صفحة 534)

ويضاف إليهم كذلك، أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الإشبيلي، ابو عمر الباجي ت 574ه/1179م، روى عن أبيه وعن أبي بكر ابن العربي، وأبي الحسن شريح وغيرهم، قال عنه ابن عبد الملك:" وكان محدّثا عدلا فاضلا، نبيه البيت، أكبر حسباء بلده، بشرف العلم المتوارث على القدم"، (بن شريفية، 1999، صفحة 263) وممن عرف كذلك بالوجاهة و العلم والقضاء من هذا البيت الإشبيلي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الإشبيلي ت 606ه/1210م، روى عن أبيه وأبي بكر بن الجد، وتفقه به، وتولى الخطبة والقضاء بإشبيلية قبل شقيقه أبي مروان، وقال عنه ابن الأبار:"...وكان من اهل العلم والفضل، مع نباهة السلف وجلالة البيت"، (ابن الآبار، 1995، صفحة 94) ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الإشبيلي ت 635ه/1238م، أخذ العلم عن أهل بلده، وسمع من أبي بكر الجد وغيره، وتولى الخطبة بالجامع الاعظم بإشبيلية، ثمّ القضاء فعرف العدل والنزاهة ووطأة الأكناف، ولين الجانب، وصفه ابن عبد الملك بقوله:"... خطيب زمانه،...حافظا للحديث، من احسن الناس صوتا، واطيبهم نغمة...، جيّد الخط و الضبط، ذاكرا للفقه"، (بن شريفية، 1999، صفحة 689) كما اثنى عليه ابن رشيد السبتي بقوله:"... من أهل إشبيلية من البيت المثيل، الشهير بها الدين والعلم على القدم..."، (ابن رشيد ، صفحة 96) وكانت لأبي مروان رحلة شهيرة إلى المشرق، ذكرها ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة". (بن شريفية، 1999، صفحة 126)

بيت ابن زهر

يجمع المؤرخون على أنّ أسرة ابن زهر يرجع أصلها إلى قبيلة إيّاد بنو محمد بن عدنان العربية، استقرّوا في الأندلس واشتهروا بها، (بسام، 1979، صفحة 218) وقد استوطنوا مدينة إشبيلية، وأنجبت هذه الأسرة العديد من الأطباء خلال أجيال متعاقبة، فكانوا من أعيان المدينة والمرجع في الطب والعلاجات، (حلاق، 1989، صفحة 266) وأشهر أطباء هذا البيت في عصر المرابطين والموحدين، نجد : أبو العلاء زهر بن أبي مروان بن عبد الملك زهر بن محمد بن مروان بن زهر الفيلسوف والطبيب، ولد بإشبيلية وسكن قرطبة، (البشري، 1993، صفحة 471) درس العلوم الشرعية كالفقه والحديث وغيرهما، ثمّ أقبل على دراسة الطب، أخذ عن أبيه ومشاهير الأطباء في عصره، وقد نبغ

في الطب حتّى غطى على شهرة أبيه) أنظر التعليق رقم2(، وأصبح أكبر طبيب في الأندلس كلّها، فاشتهر بالمعرفة الواسعة والخبرة الكبيرة في معالجة المرضى ومعرفة ما بهم. (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 518)

كان أبو العلاء المقدم عند ملك إشبيلية المعتمد بن عباد) أنظر التعليق رقم3(، ثمّ أراد العودة إلى موطن أبائه دانية) أنظر التعليق رقم4(فأذن له المعتمد واستمر يعمل في هذه المدينة حتّى سقوط ملوك الطوائف فرجع إلى إشبيلية وحظي في ايام المرابطين بالمنزلة الرفيعة، واستمر في خدمتهم حتّى وفاته سنة 525ه/1131م، (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 517) وترك مجموعة من المؤلفات النفيسة في الطب والأدوية. وكان لشهرة أبي العلاء وأولاده أن عُدّو من مفاخر أهل الاندلس ولا يعدلون به وبأولاده احدا من أهل المشرق، (**ابن الآبار**، 1995، **صفحة** 77) وممّا ذكر في تضلّعه بالطب وبلوغه الغاية فيه أنّ أحد التجار القادمين من المشرق اهداه كتاب القانون لابن سينا، فلمّا قدّم له الكتاب تصفحه وأظهر الامتعاض والاحتقار لما فيه ولم يدخله خزانة كتبه، بل كان يقطّع منه أوراقا يكتب فيها وصفاته الطبية للمرضى. (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 519)

ومن أطباء أسرة ابن زهر في هذا العصر نجد كذلك الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك الأيادي، من مشاهير الطب في عصره والمقدم عند الأوروبيين في العصر الوسيط لخدماته الجليلة في علم الطب والصيدلة، (**السامرائي و ذنون**، 2000، **صفحة** 172) ولشهرته فقد طلبه المرابطون إلى عاصمتهم وأولوه العناية التامة والتكريم والمنزلة السامية، وبذلوا له الاموال في مواصلة تجاربه ومعالجة مرضاهم، (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 467) كانت ولادته سنة 464ه/1072م أيام ملوك الطوائف، توفي زمن المرابطين سنة 557ه/1162م. (**الزركلي**، 1968، **صفحة** 303)

ومن هذا البيت نجد كذلك، الطبيب أبو بكر زهر الحفيد، فقد برع في صناعة الأدوية والعلاج وبلغ الغاية في ذلك حتّى اشتهر بذلك، وكان يلقب بالوزير والحكيم والأديب، (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 470) ونظرا لشهرته انتقل إلى بلاط الموحدّين وخدم ملوكهم، (**ابن عذارى**، **صفحة** 201) وكانت له الكلمة المسموعة عندهم، إلاّ أنّ بعض حساده اراد أن يقلّل من شأنه فادّعى عليه بانّه يتعاطى كتب المنطق والفلسفة وعلم الفلك وهي العلوم التي أمر الموحدون بإحراقها، لكنّ الملك الموحدي قال :" لو أنّ جميع الأندلس شهدوا على ابن زهر في هذا المحضر لم أقبل قولهم"، (**ابن الآبار**، 1995، **صفحة** 151) وفي هذا دليل على مكانة وفضل هذا الطبيب عند الموحدّين، واستمر في خدمتهم حتّى وفاته سنة 595ه/1199م. (**ابن العماد**، 1979، **صفحة** 320)

ومنهم كذلك الطبيب عبد الله بن الحفيد بن أبي بكر بن زهر، من الماهرين في الطب والعلاج ومعرفة الادوية، ولد سنة 577ه/1181م، أخذ علم الطب عن أبيه وغيره من أطباء إشبيلية، فمهر بالطب واشتهر به وخدم بلاط الموحدّين، إلاّ أنّه كثر حساده فقتلوه بالسمّ شابا لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وكان ذلك سنة 602ه/1205م. (**ياشوش و الشمري**، **صفحة** 22)

ولم تقتصر شهرة هذه الاسرة في الطب على الرجال فقط، بل تعدّتها إلى النساء بحيث نبغت عدّة طبيبات من ابن زهر نذكر منهنّ أخت الطبيب الحفيد أبي بكر بن زهر وبنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيّدة فيما يتعلق بمداواة النساء، وقال عنهما ابن أبي أصيبعة:"... وكانت مع الحفيد أيضا بنت أخته، وكانت أخته وابنتها هاته عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيّدة فيما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان على نساء الملوك، ولا يقبلون أن يدخل أحد سواهما"، (**ابن أبي أصيبعة**، 1965، **صفحة** 534) وكانت ابنة الحفيد مولّدة ماهرة بجانب قدرتها على العلاج العام لسائر أمراض النساء. (**الرفاعي**، 1981، **صفحة** 602)

بيت ابن خلدون

يعتبر هذا البيت من أشهر بيوتات العلم الإشبيلية، ويقول في ذلك العلاّمة ابن خلدون في ترجمته لنفسه:" أصل هذا البيت من إشبيلية، انتقل عند الجلاء، وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش (أنظر التعليق رقم5) عليها، إلى تونس في أواسط المئة السابعة"، (**ابن خلدون**، 1988، **صفحة** 503) وينسب ابن خلدون أصله إلى مدينة حضرموت باليمن)أنظر التعليق رقم6(قبل الهجرة إلى الأندلس.

وعُرف هذا البيت بالسياسة والرياسة السلطانية حسب تعبير أبي حيّان، (**عنان**، 1990، **صفحة** 48) ومن مشاهير هذا البيت الإشبيلي في عصر المرابطين والموحدين نذكر محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، وهو الجدّ الاقرب لابن خلدون العلاّمة، وقد " تولى الوزارة عدّة مرّات، وكثيرا ما ناب عن السلطان، خلال غيابه عن عاصمة الملك". (**ابن خلدون**، 1988، **صفحة** 510)

ومن علماء هذا البيت كذلك، محمد بن الحسين محمد بن جابر بن عبد الرحمان بن خلدون، وهو " الجدّ الثاني للعلاّمة مؤلف المقدمة، تولى الوزارة والقيادة، ومات مقتولا خلال إحدى الثورات". (**ابن خلدون**، 1988، **صفحة** 509)

3ـ بيوتات العلم غير المشهورة بحاضرة إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين

نقصد ببيوتات العلم غير المشهورة تلك التي لم يذع صيتها ولم تشتهر في كتب التاريخ والتراجم، وإنما يتم التنقيب والغوص في أمهات الكتب والتدقيق البحثي لأجل الوصول إليها، وتلك التي لم يرتبط ذكرها بمدينة إشبيلية أو التي اقتصر العلم فيها على عدد قليل من العلماء، كعالم واحد أو عالمين على الأكثر، وتجدر الإشارة إلى صعوبة ترصّد هذه البيوتات في المصادر ذات الصلة، وهي كثيرة في إشبيلية نذكر منها:

بيت ابن سيّد النّاس

ومن اعلام هذا البيت أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحي بن سيّد النّاس اليعمري الإشبيلي، ذكره الذهبي في اثناء الترجمة لابنه :" وتوفي والده سنة ثمان عشرة وستمائة"، (**الذهبي**، **تذكرة الحفاظ**، **صفحة** 1451) ومن هذا البيت كذلك أبو بكر محمد بن احمد بن سيّد النّاس ت 557ه/1162م، (**ابن الزبير**، 1990، **صفحة** 386) وسمع طائفة من أهل بلده، " وله إجازة من أهل الشام والعراق"، وصفه الذهبي بقوله:" الإمام الحافظ العلاّمة الخطيب..."، ثمّ نقل عن القاضي عزالدين الشريف قوله فيه:" كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وفضلائهم، المذكورين، وبه ختم هذا الشأن بالمغرب"، ويقرّر الذهبي في ترجمته هذا العالم بأنّه كان ظاهري المذهب. (**الذهبي**، **تذكرة الحفاظ**، **صفحة** 1450)

بيت ابن الحوفي

وممّن اشتهر من هذا البيت، أحمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز الكلاعي أبو القاسم الحوفي الإشبيلي توفي سنة 588ه/1193م، (**ابن فرحون**، 1996، **صفحة** 122) وصفه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة بقوله:" كان من بيت علم وعدالة، فقيها حافظا، حاضر الدكر للمسائل، بصيرا بعقد الشروط فرضيا ماهرا..."، (**ابن عبد الملك**، 1984، **صفحة** 414) له مؤلف مشهور في علم الفرائض بعنوان " المختصر في الفرائض ". (**كحالة**، 1993، **صفحة** 99)

بيت ابن الطيلسان

أصل هذا البيت من إشبيلية واستقر أهله بقرطبة، ومن علمائه المشهورين أحمد بن محمد بن سليمان المعروف بابن الطيلسان ت 579ه/1184م، نشأ بإشبيلية " وكان من أهل العلم بتجويد القرآن العظيم، كثير التلاوة له، معروف بالفضل، من بيت علم ونباهة ودين..."، وروى عنه ولداه: أبو عبد الله، وأبو أحمد. (**ابن عبد الملك**، 1984، **صفحة** 433)

بيت ابن الأفلح

أسرة عربية لخمية من وجهاء إشبيلية، اشتهر منهم اسماعيل بن حجاج الأفلح أبو الوليد اللخمي، وصفه ابن سعيد في اختصار القدح المعلى بقوله :" فرفع في طريق الأدب منازلهم، وأوقد في علم العلوم نارهم". (**ابن سعيد**، **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى**، 1980، **صفحة** 141)

بيت ابن حجاج

من علماء هذا البيت البارزين عبد الرحمان بن محمد بن عمرو بن أحمد بن حجاج يكنّى أبا الحكم ت 600ه/1204م، وصفه ابن الزبير بقوله :"...كان جليلا في ذاته ومنصبه، وهو وأبوه وجدّه أبو عمر أحمد، أربعتهم في نسق، خطباء إشبيلية، ولهم الأحوال الحسنة، والآثار المستحسنة، نمتهم إلى عقيدة سنية، وهمم سنية...". (**ابن الزبير**، 1990، **صفحة** 201)

بيت ابن يعيش الزهري

وممّن عُرف من أجلاّء هذا البيت عبد الرحمان بن علي بن أبي القاسم بن يعيش الزهري الإشبيلي ت 528ه/1134م، سمع عن أبيه القاضي أبي الحسن، قال عنه ابن الزبير :" ولم يُعلم هل أجاز له أم لا؟". (**ابن الزبير**، 1990، **صفحة** 205)

بيت ابن خير الإشبيلي

واشتهر من هذا البيت ابن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الإشبيلي، ولد سنة 502ه/1109م، سمع من أبي مروان الباجي والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، (**الذهبي**، **سير أعلام النبلاء**، 1985، **صفحة** 86) قال عنه ابن الآبار :" كان مكثرا إلى الغاية، وسمع من أكثر من مائة نفس، ولا نعلم أحدا من طبقته مثله"، ولمّا مات بيعت كتبه بأغلى ثمن لصحتها، ولم يكن له نظير في هذا الشأن، توفي سنة 575ه/1180م، وكانت له جنازة مشهودة. (**ابن الآبار**، 1995، **صفحة** 524)

بيت ابن العوّام

اشتهر في هذا البيت الإشبيلي عالم الفلاحة المعروف يحي بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي توفي سنة 540ه/1146م، (الزركلي، 1968، صفحة 609) من آثاره كتاب الفلاحة الأندلسية، ورسالة في تربية الكرم. (**كحالة**، 1993، **صفحة** 222)

4- الإنتاج العلمي لبيوتات العلم بحاضرة إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين

ساهمت بيوتات العلم الإشبيلية في العصر المرابطي والموحدي في إثراء وازدهار الحياة العلمية، وشاركت في ذلك مشاركة فعالة من خلال التفاعل مع العوامل الأخرى، كنشاط التعليم والتلقي والرحلة العلمية والمناظرات بين العلماء، ولعلّ أثر ذلك الإسهام يظهر جليا إذا ما نظرنا عن كثب إلى حركة التأليف التي شملت تخصصات متباينة وكما هو شائع في التاريخ الإسلامي، فقد جمع العلماء بين عدّة فنون فكانوا علماء موسوعيين.

وباتباع طريقة الإحصاء والتتبع، فقد أحصيت للبيوتات الإشبيلية في العصر المرابطي والموحدي، أربعين مؤلفا، (**كحالة**، 1993) غلب عليها مصنفات أسرة ابن زهر في الطب والصيدلة بأكثر من عشرين مؤلفا، ويتفوق القاضي أبوبكر ابن العربي على غيره من المؤلفين بحوالي أربعة عشر مؤلفا في تخصصات مختلفة من العلوم الشرعية والتاريخ، غلب عليها التفسير والفقه والعقيدة.

ويلاحظ كذلك على مؤلفات هذا العصر افتقاره للكتب التي تُعنى بالعلوم العقلية والفلك، ويعود ذلك إلى المنحى الذي سارت عليه دولتي المرابطين والموحدين، وموقفهما السلبي من الفلسفة وأهلها ودور الفقهاء في هذا العصر المشجع للملوك في منع ومحاربة من يتعاطى مع تلك العلوم، ولعلّ محنة ابن رشد الحفيد (أنظر التعليق رقم7) خير دليل على ذلك.

وفيما يخص المؤلفات التي عُنيت بالدراسات الشرعية، فقد غلب عليها التقليد والشروحات وفي أغلبها مرتبطة بالمذهب المالكي فيما يتعلّق بالمسائل الفقهية، على غرار مؤلفات القاضي ابن العربي وابن الحوفي الذي يملك مؤلفا مشهورا في المواريث، ويرجع ذلك أساسا إلى ترسخ وقوة تواجد المذهب المالكي في الأندلس وبلاد المغرب في فترة مبكرة وهيمنته على بقية المذاهب الفقهية الأخرى، ومن جهة أخرى تعصب دولة المرابطين الشديد له، وتقريبها لفقهاء المالكية واستشارتهم في مختلف المسائل، هذا الأمر أدّى إلى المعارضة الشديدة لوجود أي مذهب فقهي آخر قد يشكّل منافسة محتملة، مثل المذهب الظاهري الذي تعرّض أتباعه للتضييق والردود وإحراق كتبهم المرتبطة أساسا بابن حزم الأندلسي. (**الذهبي، سير أعلام النبلاء**، 1985، **صفحة** 309)

وفيما يلي استعراض لعدد المؤلفات ونسبتها وتوزيعها في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين:

جدول01 : إجمالي الكتب المؤلفة لدى بيوتات العلم الإشبيلية في عصر المرابطين والموحدين

الشعب العلمية	التخصص	عدد الكتب	المجموع	نسبة المؤلفات
العلوم الشرعية	العقيدة	03	14	35%
	الفقه	03		
	أصول الفقه	01		
	التفسير	04		
	الحديث	03		
التراجم والتاريخ	التراجم	02	02	05%
الفلاحة	الفلاحة	01	01	02,50%
الطب والصيدلة	الطب	13	23	57,50%
	الصيدلة	10		

المصدر: عمر كحالة،1993.

شكل01:توزيع نسب الكتب المؤلفة بإشبيلية في عصري المرابطين والموحدين

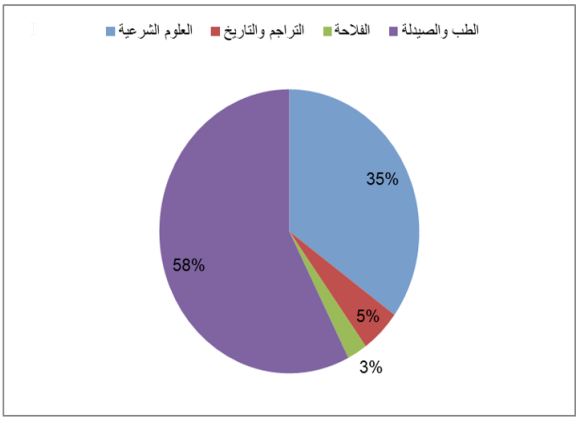

شكل02:توزيع الكتب المؤلفة بإشبيلية في عصري المرابطين والموحدين

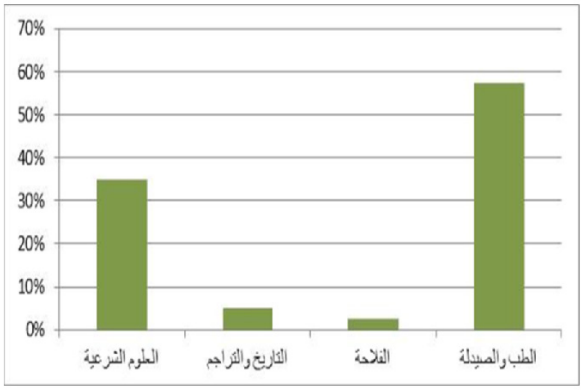

المصدر: عمر كحالة،1993.

يظهر من خلال إحصائيات الجدول والشكلين البيانيين، تفرّع حقول ومجالات المعرفة في حاضرة إشبيلية للفترة المدروسة، كما نلاحظ إجمالا اتساع مجال الدراسات المتعلقة بالطب والصيدلة وصناعة الأدوية بفضل الإسهامات الجليلة التي قدمتها أسرة ابن زهر وغزارة عدد المؤلفات في هذا المجال، وكما هو معروف في الحركة العلمية للعالم الإسلامي في العصر الوسيط فقد حظيت العلوم الشرعية باهتمام بالغ في العصر المرابطي والموحدي، وفيما يخص بقية حقول المعرفة الأخرى كالتاريخ والتراجم والفلاحة فكانت نسبة التأليف فيها قليلة، وذلك لاقتصار تلك العلوم على اهتمام أقل من العلوم السالفة الذكر، بحيث يظهر شح التصانيف المرتبطة بالعلوم التطبيقية كالرياضيات والبصريات والفلك، وهي العلوم التي كانت رائجة وبلغ فيها الأندلسيون مبالغ عظيمة في الفترات السالفة، يلاحظ تراجعها بشكل كبير في الفترة المدروسة.

وبالرجوع إلى معطيات الجدول أعلاه، وكما أشرنا سالفا فإنّ الدراسات المتعلّقة بالمجالات العقلية ومنها الفلسفة وعلم الفلك والكيمياء كذلك، لا يوجد لها ذكر في الكتب المؤلفة بالمدينة، وهو من الأمور السلبية والتي تحسب على حكم المرابطين والموحدين للأندلس عموما وحاضرة إشبيلية على الخصوص، فنجد مثلا أنّ الدراسات الفلسفية التي أنجزها ابن رشد الحفيد، كان ينظر إليها في الدول الأوروبية المجاورة نظرة إجلال وتعظيم، في حين تمّ التضييق على من تعاطى معها في الأندلس، بل وحرق مؤلفات ابن رشد وبداية القطيعة مع الفلسفة.

5ـ الخاتمة

في نهاية هذا البحث خرجنا بمجموعة من النتائج تمثلت فيما يلي:

- تعدّد بيوتات العلم والنبوغ في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين، مع تباينها وذلك بوجود بيوت ذات صيت وشهرة وأخرى أقل شهرة منها.

- نبوغ أسرتي ابن العربي وابن زهر كبيتين بارزين في المدينة

لا ينفصل ذكرهما عن ذكر إشبيلية في العصر الإسلامي، بفضل حضورهما العلمي اللافت في الفترة المدروسة، ومساهمتهما المستفيضة في ميادين التعليم والتأليف.

- بروز الشخصية العلمية للقاضي أبي بكر ابن العربي، والطبيب أبو العلاء بن زهر من خلال دورهما العلمي وتوليهما مناصب في ظل حكم المرابطين للمدينة ومن بعدهم الموحدين، كالقضاء وإدارة الشؤون الطبية بقصور الملوك والأمراء.

- ازدهار وتنوع حركة التصنيف في إشبيلية للفترة المدروسة، والتي فاقت الأربعين مؤلفا، وفي ميادين متنوعة، أثرت المكتبة الأندلسية والإسلامية، استفادت منها أجيال متعاقبة عبر قرون، ومنها ما تم ترجمته للغات الأوروبية في بداية تراجع الحكم الإسلامي في الأندلس مع نهاية القرن الخامس الهجري لاسيما بعد سقوط مدينة طليطلة في يد الممالك الإسبانية، وكان لتلك الإسهامات العلمية أثر في تقدم أوروبا مع بداية عصر النهضة.

- تقدّم وازدهار العلوم والدراسات الطبية في إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين بفضل اسهامات أسرة ابن زهر رجالا ونساء، ونبوغهم في العلاج وصناعة الأدوية.

- ضعف الدراسات المتعلّقة بالعلوم العقلية والتطبيقية ما عدا الطب والصيدلة، بحيث لاحظنا غيابا لافتا للعناية بالفلسفة وعلم الفلك، وافتقار هذا العصر من تاريخ المدينة للمؤلفات التي تُعنى بهذه العلوم.

- غلبة التقليد والشروحات للمؤلفات التي اعتنت بالعلوم الشرعية وفي مختلف التخصصات، وافتقارها للاجتهاد والبحث في مسائل مستجدّة او إرساء لقواعد وأصول جديدة، مع الاكتفاء بالعناية بالفقه المالكي، وغلبة التعصب المذهبي والتضييق على معتنقي المذاهب الأخرى وبالخصوص المذهب الظاهري.

يمكن تفسير صعف العناية بالفلسفة والفلك في هذا العصر بحاضرة إشبيلية، بالتوجه السياسي والعقدي للدولتين المرابطية والموحدية الذي حارب مثل هذه المعارف والأفكار، واعتبرها خطرا على تماسك المجتمع والعقيدة الإسلامية، وضرورة مجابهتها مثل علم النجوم.

امّا فيما يتعلق بغلبة التقليد وضعف الاجتهاد في المسائل الشرعية، فيرجع للتعصب لآراء المتقدمين من العلماء المالكية لاسيما الطرطوشي وأبو الوليد الباجي، وندرة العلماء المجتهدين في تلك الحقبة إذا ما استثنينا القاصي أبوبكر ابن العربي، والاكتفاء بالشروحات والحواشي والتعليقات على تلك التصانيف، مثل موطأ مالك ومدونة سحنون وغيرهما.

أما في يخص التوصيات التي يمكن أن نقدمها في ختام هذا البحث، أنّ ميدان الدراسة في ظاهرة البيوتات العلمية لايزال مفتوحا وغير مشبع من حيث الدراسة الأكاديمية، وحاضرة إشبيلية يبقى فيها مجال الدراسة مفتوحا للباحثين، سواء فيما تعلق بالبيوتات العلمية أو مواضيع أخرى تخص الحياة الفكرية والثقافية للمدينة، مثل الرحلة العلمية، ودور الفقهاء في الحياة العلمية، وجانب التعليم وغيرها.

تضارب المصالح

نعلن نحن المؤلفون لهذا المقال أنه ليس لدينا تضارب مصالح مع أي أحد أو جهة كانت.

التعليقات والشروحات

1. البيوتات، جمع بيت، قال الكتاني:" والمراد به بيت المجد و التعظيم يكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة، ونحو ذلك، ولا يعد في الغالب أربعة آباء..."، أنظر: زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ج1، ص45.

2. المقصود به أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر، توفي سنة 470ه/1078م، وهو أول طبيب في هذه الأسرة، أنظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ج3، ص111، أنظر كذلك ابن أبي أصيبعة، طبقات الاطباء، ص517.

3. المعتمد بن عباد اللخمي، صاحب إشبيلية، أعظم ملوك الطوائف، كان يجتمع ببابه أكابر الشعراء والأدباء، توفي سنة 488ه/1095م، أنظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص181.

4. بنو أدفونش، أسرة إسبانية من الجلالقة، وهم قوم من القوط، كان لهم دولة في شمال شرق إسبانيا، أنظر: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص299.

5. هذا النسب أثار شكوكا عند كثير من المؤرخين، على غرار طه حسين، وقال عبد الله عنان بأن أصل ابن خلدون بربري الأصل، أنظر: عبد الله عنان، دراسات في مقدمة ابن خلدون، ص553.

6. ابن رشد الحفيد، ولد سنة 520ه/1126م، العلامة الفيلسوف، الفقيه أبو الوليد بن رشد القرطبي، تولى قضاء إشبيلية ثمّ قرطبة، عزل وأحرقت كتبه، توفي محبوسا في مراكش سنة 604ه/1207م، أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج24، ص309.

7.المذهب الظاهري، ويعرف كذلك بالمذهب السني الخامس، يأخذ بظاهر النص، اشتهر منه العلامة ابن حزم، تمت محاربته وإحراق كتبه في عصر الطوائف ومن جاء بعدهم من المرابطين والموحدين، أنظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص123.

المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة. (1965). عيون الأنباء في طبقات الاطباء. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

- ابن الآبار. (1995). التكملة لكتاب الصلة. لبنان: دار الفكر.

- ابن بسام. (1979). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

- ابن بشكوال. (1989). الصلة. دار الكتاب المصري.

- ابن سعيد. (1980). اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى. القاهرة.

- ابن سعيد. (بلا تاريخ). المغرب في حلى أهل المغرب (الإصدار ط 3). مصر: دار المعارف.

- ابن فرحون. (1996). الديباج المذهب (الإصدار ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

- التلمساني المقري. (1968). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. بيروت: دار صادر.

- الحنبلي ابن العماد. (1979). شذرات الذهب (الإصدار ط3). بيروت: دار المسيرة.

- السبتي ابن رشيد . (بلا تاريخ). إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح. الدار التونسية للنشر.

- الضبي. (1989). بغية الملتمس في تاريخ رجال آهل الأندلس. دار الكتاب المصري.

- الغرناطي ابن الزبير. (1990). صلة الصلة. وزارة الأوقاف المغربية.

- المراكشي ابن عبد الملك. (1984). الذيل والتكملة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

- المراكشي ابن عذارى. (بلا تاريخ). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. بيروت: دار صادر.

- أنور الرفاعي. (1981). الإسلام في حضارته ونظمه. القاهرة: دار السلام.

- جعفر ياشوش، و غازي الشمري. (بلا تاريخ). الطبيب ابن زهر الأندلسي. بيروت: دار الكتب العلمية.

- حسان حلاق. (1989). دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. بيروت: دار النهضة العربية.

- خليل السامرائي، و عبد الواحد ذنون. (2000). تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس (الإصدار ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد.

- خيرالدين الزركلي. (1968). الأعلام (الإصدار ط4). مكتبة كوستا توماس.

- سعد عبدالله البشري. (1993). الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

- شمس الدين الذهبي. (1985). سير أعلام النبلاء (الإصدار ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

- شمس الدين الذهبي. (بلا تاريخ). تذكرة الحفاظ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- عبد الرحمان ابن خلدون. (1988). كتاب العبر (الإصدار ط2). بيروت: دار الفكر.

- عبد السلام شقور. (1996). البيوتات الأندلسية. السجل العلمي لندوة الاندلس، 255.281.

- عبدالله عنان. (1990). دراسات في مقدمة ابن خلدون.

- عمر كحالة. (1993). معجم المؤلفين. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- محمد بن شريفية. (1999). أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق. مجلة دعوة الحق المغربية، 5، 124.155.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

محفوظ مصابيح، مصطفى مغزاوي (2024)، بيوتات العلم بحاضرة إشبيلية في عصر المرابطين والموحدين 6-7هـ/12-13م، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 241-248.